17 1 Isra Maraaj Qurtabi 60 101 to 104 AnNajm 53 1 to 18

اسري معراج النبي صلي الله عليه وسلم

ابو عبدا لله بن احمد الانصاري القرطبي

Page prepared for easy on-line reading and retrieval for research purposes by Muhammad Umar Chand

تفسير الجامع لاحكام القرآن/ القرطبي (ت 671 هـ)

{ سُبْحَانَ ٱلَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَا ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلبَصِيرُ }

فيه ثمان مسائل:

الأولى: قوله تعالى: { سُبْحَانَ } «سبحان» اسم موضوع موضع المصدر، وهو غير متمكن؛ لأنه لا يجري بوجوه الإعراب، ولا تدخل عليه الألف واللام، ولم يجر منه فعل، ولم ينصرف لأن في آخره زائدتين، تقول: سبّحت تسبيحاً وسُبحاناً، مثل كفّرت اليمين تكفيراً وكفراناً. ومعناه التنزيه والبراءة لله عز وجل من كل نقص. فهو ذكر عظيم لله تعالى لا يصلح لغيره؛ فأما قول الشاعر:

أقول لمّا جاءني فَخْرهُ سبحانَ مِن عَلْقَمةَ الفاخِرِ

فإنما ذكره على طريق النادر. وقد **" روى طلحة بن عبيد الله الفَيّاض أحدُ العشرة أنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: ما معنى سبحان الله؟ فقال: تنزيه الله من كل سوء "**

والعامل فيه على مذهب سيبويه الفعل الذي من معناه لا من لفظه، إذ لم يجر من لفظه فعل، وذلك مثل قعد القُرْفصاء، واشتمل الصَّمّاء؛ فالتقدير عنده: أنزّه الله تنزيهاً؛ فوقع «سبحان الله» مكان قولك تنزيهاً.

الثانية: قوله تعالى: { أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ } «أسرى» فيه لغتان: سرى وأسرى؛ كسقى وأسقى، كما تقدّم. قال:

أسْرتْ عليه من الجَوْزَاء سارِيَةً تُزْجِي الشَّمال عليه جامدَ البَرَد

وقال آخر:

حَيِّ النّضيرة ربة الخِدْرِ أسْرَت إليّ ولم تكن تَسْري

فجمع بين اللغتين في البيتين. والإسراء: سير الليل؛ يقال: سَرَيت مَسْرًى وسُرًى، وأسريت إسراء؛ قال الشاعر:

وليلة ذات نَدًى سريتُ ولم يَلِتْنِي من سُراها لَيْتُ

وقيل: أسرى سار من أوّل الليل، وسرى سار من آخره؛ والأوّل أعرف.

الثالثة: قوله تعالى: { بِعَبْدِهِ } قال العلماء: لو كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم اسم أشرفُ منه لسمّاه به في تلك الحالة العلية. وفي معناه أنشدوا:

يا قومِ قلبي عند زهراءِ يعرفه السامع والرائي

لا تَدْعُنِي إلاّ بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي

وقد تقدّم. قال القُشَيْرِيّ: لما رفعه الله تعالى إلى حضرته السّنية، وأرقاه فوق الكواكب العلوية، ألزمه ٱسمَ العبودية تواضعاً للأمة.

الرابعة: ثبت الإسراء في جميع مصنَّفات الحديث، ورُوي عن الصحابة في كل أقطار الإسلام فهو من المتواتر بهذا الوجه. وذكر النقاش ممن رواه عشرين صحابياً.

1. روى الصحيح عن **أنس بن مالك** أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

" أتيت بالبراق وهو دابة أبيضُ (طويل) فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طَرَفه ـ قال ـ فركبته حتى أتيت بيت المقدس ـ قال ـ فربطته بالحَلْقة التي يَرْبِطُ بها الأنبياء ـ قال ـ ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني

جبريل عليه السلام بإناء من خمر وإناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترتَ الفِطْرة ـ قال ـ ثم عَرج بنا إلى السماء... "

2. وذكر الحديث. ومما ليس في الصحيحين ما خرّجه الآجُرِّيّ والسَّمَرْقنْديّ، قال الآجري عن **أبي سعيد الخُدْريّ** في قوله تعالى { سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } قال أبو سعيد: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ليلةِ أسْرِيَ به، قال النبيّ صلى الله عليه وسلم:

" أتيت بدابّة هي أشبه الدواب بالبغل له أذنان يضطربان وهو البراق الذي كانت الأنبياء تركبه قبلُ فركبته فانطلق تقع يداه عند منتهى بصره
فسمعت نداء عن يميني يا محمد على رِسْلِك حتى أسألك فمضيت ولم أُعَرِّج عليه
ثم سمعت نداء عن يساري يا محمد على رِسْلِك فمضيت ولم أعَرِّج عليه
ثم استقبلتني ٱمرأة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول على رِسْلِك حتى أسألك فمضيت ولم أُعَرِّج
ثم أتيت بيت المقدس الأقصى فنزلت عن الدابة فأوثقته في الحَلْقة التي كانت الأنبياء تُوثق بها
ثم دخلت المسجد وصلّيت فيه
فقال لي جبريل عليه السلام ما سمعتَ يا محمد فقلتُ سمعتُ نداءً عن يميني يا محمد على رِسْلك حتى أسألك فمضيت ولم أُعَرّج فقال ذلك داعي اليهود ولو وقفتَ لتهوّدت أمتك ـ قال ـ ثم سمعت نداء عن يساري على رِسْلِك حتى أسألك فمضيت ولم أُعَرّج عليه
فقال ذلك داعي النصارى أمَا إنك لو وقفت لتنصّرت أمتك ـ
قال ـ ثم استقبلتني ٱمرأة عليها من كل زينة الدنيا رافعة يديها تقول على رِسْلِك فمضيت ولم أُعَرّج عليها
فقال تلك الدنيا لو وقفتَ لاخترت الدنيا على الآخرة ـ
قال ـ ثم أتِيت بإناءين أحدهما فيه لبن والآخر فيه خمر فقيل لي خذ فٱشرب أيَّهما شئت فأخذت اللبن فشربته فقال لي جبريل أصبت الفِطْرة ولو أنك أخذت الخمر غَوَتْ أمّتك
ثم جاء بالمعراج الذي تعرج فيه أرواح بني آدم فإذا هو أحسن ما رأيتُ أو لم تروا إلى الميت كيف يحدّ بصره إليه فعرج بنا حتى أتينا باب السماء الدنيا فٱستفتح جبريل
فقيل من هذا
قال جبريل
قالوا ومن معك؟

قال محمد
قالوا وقد أرسل إليه؟
قال نعم
ففتحوا لي وسلّموا عليّ
وإذا مَلَك يحرس السماء يقال له إسماعيل معه سبعون ألف ملك مع كل ملك مائة ألف .
قال . وما يعلم جُنُودَ رَبِّك إلا هو..."

وذكر الحديث إلى أن قال: **" ثم مضينا إلى السماء الخامسة وإذا أنا بهارون بن عمران المُحَبّ في قومه وحوله تبع كثير من أمته فوصفه النبيّ صلى الله عليه وسلم وقال طويل اللحية تكاد لحيته تضرب في سُرّته**
ثم مضينا إلى السماء السادسة فإذا أنا بموسى فسلم عليّ ورحب بي .
فوصفه النبي صلى الله عليه وسلم فقال . رجل كثير الشعر ولو كان عليه قميصان خرج شعره منهما... "

الحديث. وروى البزّار أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتِي بفرس فحمل عليه، كلُّ خُطوة منه أقصى بصره.

.. وذكر الحديث. وقد جاء في صفة البراق من حديث ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
" بينا أنا نائم في الحِجْر إذ أتاني آتٍ فحركني برجله فأتّبعت الشخص فإذا هو جبريل عليه السلام قائم على باب المسجد معه دابة

- **دون البغل وفوق الحمار**
- **وجهها وجه إنسان**
- **وخُفّها خُفُّ حافر**
- **وذَنَبها ذنب ثور**
- **وعُرْفها عرف الفرس**

فلما أدناها مني جبريل عليه السلام نفرت ونفشت عرفها فمسحها جبريل عليه السلام وقال يا بُرْقة لا تَنْفِري من محمد فوالله ما ركبك مَلك مقرّب ولا نبيّ مُرْسَل أفضلُ من محمد صلى الله عليه وسلم ولا أكرم على الله منه
قالت قد علمت أنه كذلك وأنه صاحب الشفاعة وإني أحِبّ أن أكون في شفاعته فقلت أنت في شفاعتي إن شاء الله تعالى..."

الحديث. وذكر أبو سعيد عبد الملك بن محمد النّيْسابوري عن أبي سعيد الخدري قال:

" لما مر النبيّ صلى الله عليه وسلم بإدريس عليه السلام في السماء الرابعة قال: مرحباً بالأخ الصالح والنبيّ الصالح الذي وُعدنا أن نراه فلم نره إلا الليلة قال فإذا فيها مريم بنت عمران لها سبعون قصراً من لؤلؤ ولأم موسى بن عمران سبعون قصراً من مرجانة حمراء مكللة باللؤلؤ أبوابها وأسِرّتها من عرق واحد فلما عرج المعراج إلى السماء الخامسة وتسبيحُ أهلها سبحان من جمع بين الثلج والنار من قالها مرة واحدة كان له مثلُ ثوابهم أستفتح الباب جبريلُ عليه السلام ففُتح له فإذا هو بكهل لم يُرَ قطّ كَهْلٌ أجمل منه عظيم العينين تضرب لحيته قريباً من سرته قد كاد أن تكون شَمْطة وحوله قوم جلوس يقصّ عليهم فقلت يا جبريل من هذا قال هارون المُحَبّ في قومه... " وذكر الحديث.

فهذه نبذة مختصرة من أحاديث الإسراء خارجة عن الصحيحين، ذكرها **أبو الربيع سليمان بن سبع بكمالها في كتاب (شفاء الصدور)** له.
ولا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السِّيَر أن الصلاة إنما فرضت على النبيّ صلى الله عليه وسلم بمكة في حين الإسراء حين عرج به إلى السماء.

واختلفوا في

- **تاريخ الإسراء**
- **وهيئة الصلاة،**
- **وهل كان إسراءً بروحه أو جسده؛**

فهذه ثلاث مسائل تتعلق بالآية، وهي مما ينبغي الوقوف عليها والبحث عنها، وهي أهمّ من سَرْد تلك الأحاديث، وأنا أذكر ما وقفت عليه فيها من أقاويل العلماء واختلاف الفقهاء بعون الله تعالى.

فأما المسألة الأولى ـ وهي هل كان إسراء بروحه أو جسده؛
اختلَف في ذلك السلف والخلف،
فذهبت طائفة إلى أنه إسراء بالروح، ولم يفارق شخصُه مضجَعه، وأنها كانت رؤيا رأى فيها الحقائق، ورؤيا الأنبياء حق.
ذهب إلى هذا معاوية وعائشة،
وحكي عن الحسن وابن إسحاق.
وقالت طائفة: كان الإسراء بالجسد يقظة إلى بيت المقدس، وإلى السماء بالروح؛
واحتجوا بقوله تعالى: «سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجدالحرام إلى المسجد الأقصى»
فجعل المسجد الأقصى غاية الإسراء.

قالوا: ولو كان الإسراء بجسده إلى زائد على المسجد الأقصى لذكره، فإنه كان يكون أبلغ في المدح.
وذهب معظم السلف والمسلمين إلى أنه كان إسراء بالجسد وفي اليقظة،
وأنه ركب البراق بمكة،
ووصل إلى بيت المقدس
وصلّى فيه
ثم أسْرِيَ بجسده.
وعلى هذا تدل الأخبار التي أشرنا إليها والآية.
وليس في الإسراء بجسده وحال يقظته استحالة، ولا يُعدل عن الظاهر والحقيقة إلى التأويل إلا عند الاستحالة، ولو كان مناماً لقال بروح عبده ولم يقل بعبده. وقوله: { مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ }[النجم: 17] يدل على ذلك.
ولو كان مناماً

- لما كانت فيه آية
- ولا معجزة،
- ولما قالت له أم هانيء: لا تحدِّث الناس فيكذبوك،
- ولا فُضّل أبو بكر بالتصديق،
- ولما أمكن قريشاً التشنيعُ والتكذيب،
- وقد كذبه قريش فيما أخبر به حتى ٱرتد أقوام كانوا آمنوا،
- فلو كان بالرؤيا لم يستنكر،
- وقد قال له المشركون: إن كنت صادقاً فخبّرنا عن عِيرنا أين لقِيتَها؟ قال: «بمكان كذا وكذا مررتُ عليها ففزِع فلان فقيل له: ما رأيت يا فلان، قال: ما رأيت شيئاً غير أن الإبل قد نفرت».
- قالوا: فأخبرنا متى تأتنا العير؟ قال: «تأتيكم يوم كذا وكذا». قالوا: أيَّة ساعة؟ قال: «ما أدري، طلوع الشمس من هاهنا أسرع أم طلوع العِيرُ من هاهنا». فقال رجل: ذلك اليوم؟ هذه الشمس قد طلعت. وقال رجل: هذه عِيركم قد طلعت، وٱستخبروا النبيّ صلى الله عليه وسلم عن صفة بيت المقدس فوصفه لهم ولم يكن رآه قبل ذلك.

روى الصحيح عن **أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:**
" لقد رأيتُنِي في الحِجْر وقريش تسألني عن مَسْرَاي فسألتني عن أشياء من بيت المقدس لم أُثْبِتْها فكُرِبْتُ كَرْباً ما كُرِبت مثله قطّ ـ قال ـ فرفعه الله لي أنظر إليه فما سألوني عن شيء إلا أنبأتهم به "
الحديث. وقد اعتُرض قول عائشة ومعاوية: «إنما أسرى بنَفْس رسول الله صلى الله عليه وسلم» بأنها كانت صغيرة لم تشاهِد، ولا حدّثت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وأما معاوية فكان كافراً في ذلك الوقت غير مشاهد للحال، ولم يحدّث عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.
ومن أراد الزيادة على ما ذكرنا فليقف على (كتاب الشفاء) للقاضي عياض يجد من ذلك الشفاء. وقد احتجّ لعائشة بقوله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ }[الإسراء: 60] فسماها رؤيا.
وهذا يردّه قوله تعالى: { سُبْحَانَ ٱلَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلاً } ولا يقال في النوم أسرى.
وأيضاً فقد يقال لرؤية العين: رؤيا، على ما يأتي بيانه في هذه السورة. وفي نصوص الأخبار الثابتة دلالةٌ واضحة على أن الإسراء كان بالبدن، وإذا ورد الخبر بشيء هو مجوّز في العقل في قدرة الله تعالى فلا طريق إلى الإنكار، لا سيما في زمن خرق العوائد، وقد كان للنبيّ صلى الله عليه وسلم معارجُ؛ فلا يبعد أن يكون البعض بالرؤيا، وعليه يحمل قوله عليه السلام في الصحيح: **" بينا أنا عند البيت بين النائم واليقظان "** الحديث.
ويحتمل أن يردّ من الإسراء إلى نوم. والله أعلم.

المسألة الثانية: في تاريخ الإسراء، وقد اختلف العلماء في ذلك أيضاً،

- واختُلف في ذلك على ٱبن شهاب؛ فروى عنه موسى بن عقبة أنه أسرَي به إلى بيت المقدس قبل خروجه إلى المدينة بسنة.
- وروى عنه يونس عن عروة عن عائشة قالت: تُوفِّيت خديجة قبل أن تُفرض الصلاة.
- قال ابن شهاب: وذلك بعد مبعث النبيّ صلى الله عليه وسلم بسبعة أعوام.
- وروى عنه الوَقّاصيّ قال: أسْرِيَ به بعد مبعثه بخمس سنين.

قال ابن شهاب: وفُرِض الصيام بالمدينة قبل بدر، وفرضت الزكاة والحج بالمدينة، وحُرمت الخمر بعد أُحُد.
وقال ابن إسحاق: أسري به من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس،
وقد فشا الإسلام بمكة في القبائل.
وروى عنه يونس بن بكير قال: صلّت خديجة مع النبيّ صلى الله عليه وسلم. وسيأتي.
قال أبو عمر: وهذا يدلك على أن الإسراء كان قبل الهجرة بأعوام؛
لأن خديجة قد توفيت قبل الهجرة بخمس سنين وقيل بثلاث وقيل بأربع.
وقول ابن إسحاق مخالف لقول ابن شهاب، على أن ابن شهاب قد اختلف عنه كما تقدّم.
وقال الحَرْبِيّ: أسري به ليلة سبع وعشرين من (شهر) ربيع الآخرة قبل الهجرة بسنة.

وقال أبو بكر محمد بن عليّ بن القاسم الذهبي في تاريخه: أسري به من مكة إلى بيت المقدس،
وعرج به إلى السماء بعد مبعثه بثمانية عشر شهراً.
قال أبو عمر: لا أعلم أحداً من أهل السير قال ما حكاه الذهبي، ولم يُسْنِد قوله إلى أحد ممن يضاف إليه هذا العلم منهم، ولا رفعه إلى من يحتج به عليهم.

المسألة الثالثة: وأما فرض الصلاة وهيئتها حين فرضت، فلا خلاف بين أهل العلم وجماعة أهل السِّيَر أن الصلاة إنما فرضت بمكة ليلة الإسراء حين عُرج به إلى السماء، وذلك منصوص في الصحيح وغيره.
وإنما اختلفوا في هيئتها حين فرضت؛
فروي عن عائشة رضي الله عنها أنها فرضت ركعتين ركعتين، ثم زيد في صلاة الحضر فأكملت أربعاً، وأَقِرّتِ صلاة السفر على ركعتين. وبذلك قال الشَّعْبِيّ وميمون بن مِهْران ومحمد بن إسحاق.
قال الشعبيّ: إلا المغرب.

قال يونس بن بكير: وقال ابن إسحاق ثم إن جبريل عليه السلام أتى النبيّ صلى الله عليه وسلم حين فرضت عليه الصلاة يعني في الإسراء فهمز له بعقِبه في ناحية الوادي فانفجرت عين ماء فتوضأ جبريل ومحمد ينظر عليهما السلام فوَضّأ وجهه واستنشق وتمضمض ومسح برأسه وأذنيه ورجليه إلى الكعبين ونضح فرجه،
ثم قام يصلي ركعتين بأربع سجدات، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أقر الله عينه وطابت نفسه وجاءه ما يحب من أمر الله تعالى، فأخذ بيد خديجة ثم أتى بها العين فتوضأ كما توضأ جبريل ثم ركع ركعتين وأربع سجدات هو وخديجة، ثم كان هو وخديجة يصليان سواء. وروي عن ابن عباس أنها فرضت في الحضر أربعاً وفي السفر ركعتين. وكذلك قال نافع بن جبير والحسن بن أبي الحسن البصري، وهو قول ابن جريج، وروي عن النبيّ صلى الله عليه وسلم ما يوافق ذلك. ولم يختلفوا في أن جبريل عليه السلام هبط صبيحة ليلة الإسراء عند الزوال، فعلّم النبيّ صلى الله عليه وسلم الصلاة ومواقيتها.
وروى يونس بن بكير عن سالم مولى أبي المهاجر قال سمعت ميمون بن مهران يقول:
كان أوّل الصلاة مثنى، ثم صلّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أربعاً فصارت سُنّة، وأُقِرّت الصلاة للمسافر وهي تمام.

قال أبو عمر: وهذا إسناد لا يحتج بمثله، وقوله «فصارت سُنّة» قول منكر، وكذلك استثناء الشعبي المغرب وحدها ولم يذكر الصبح قولٌ لا معنى له. وقد أجمع

المسلمون أن فرض الصلاة في الحضر أربع إلا المغرب والصبح ولا يعرفون غير ذلك عملاً ونقلاً مستفيضاً، ولا يضرهم الاختلاف فيما كان أصل فرضها.

الخامسة: قد مضى الكلام في الأذان في «المائدة» والحمد لله. ومضى في «آل عمران» أن أوّل مسجد وُضع في الأرض المسجدُ الحرام، ثم المسجد الأقصى. وأن بينهما أربعين عاماً من حديث أبي ذَرّ، وبناء سليمان عليه السلام المسجد الأقصى ودعاؤه له من حديث عبد الله بن عمرو ووجه الجمع في ذلك؛ فتأمله هناك فلا معنى للإعادة.

ونذكر هنا قوله صلى الله عليه وسلم: **" لا تُشَدّ الرِّحال إلا إلى ثلاثة مساجد إلى المسجد الحرام وإلى مسجدي هذا وإلى مسجد إيلياء أو بيت المقدس ".**

خرّجه مالك من حديث أبي هريرة. وفيه ما يدل على فضل هذه المساجد الثلاثة على سائر المساجد؛ لهذا قال العلماء: من نذر صلاة في مسجد لا يصل إليه إلا برحلة وراحلة فلا يفعل، ويصلّي في مسجده، إلا في الثلاثة المساجد المذكورة فإنه من نذر صلاة فيها خرج إليها.

وقد قال مالك وجماعة من أهل العلم فيمن نذر رِباطاً في ثَغْر يسدّه: فإنه يلزمه الوفاء حيث كان الرباط لأنه طاعة لله عز وجل.

وقد زاد أبو البَخْتَرِيّ في هذا الحديث مسجد الجند، ولا يصح وهو موضوع، وقد تقدّم في مقدّمة الكتاب.

السادسة: قوله تعالى: { إِلَىٰ ٱلْمَسْجِدِ ٱلأَقْصَى } سُمِّيَ الأقصَى لبعد ما بينه وبين المسجد الحرام، وكان أبعد مسجد عن أهل مكة في الأرض يعظَّم بالزيارة، ثم قال: { ٱلَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ }

قيل: بالثمار وبمجاري الأنهار.

وقيل: بمن دُفن حوله من الأنبياء والصالحين؛ وبهذا جعله مقدّسا.

وروى معاذ بن جبل عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال: **" يقول الله تعالى يا شام أنت صفْوَتي من بلادي وأنا سائق إليك صفوتي من عبادي "** أصله سام فَعُرِّبَ. {

لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ } هذا من باب تلوين الخطاب. والآيات التي أراه الله من العجائب التي أخبر بها الناس، وإسراؤه من مكة إلى المسجد الأقصى في ليلة وهو مسيرة شهر، وعروجه إلى السماء ووصفه الأنبياء واحداً واحداً، حسبما ثبت في صحيح مسلم وغيره. { إِنَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ } تقدّم.

** **

}وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً كَانَ ذٰلِك فِي ٱلْكِتَابِ مَسْطُوراً**{ 58**

قوله تعالى: { وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلاَّ نَحْنُ مُهْلِكُوهَا } أي مخربوها. { قَبْلَ يَوْمِ ٱلْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَاباً شَدِيداً } قال مقاتل: أما الصالحة فبالموت، وأما الطالحة فبالعذاب.
وقال ابن مسعود: إذا ظهر الزنى والربا في قرية أذِن الله في هلاكهم. فقيل: المعنى وإن من قرية ظالمة؛ يقوّي ذلك قوله:**{ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي ٱلْقُرَىٰ إِلاَّ وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ }**[القصص: 59].
أي فليتق المشركون، فإنه ما من قرية كافرة إلا سيحل بها العذاب. { كَانَ ذٰلِك فِي ٱلْكِتَابِ } أي في اللّوح. { مَسْطُوراً } أي مكتوباً. والسطر: الخط والكتابة وهو في الأصل مصدر. والسَّطَر (بالتحريك)، مثله. قال جرير:

من شاء بايعته مالي وخُلْعَتَه ما تُكْمِل التَّيْمُ في ديوانهم سَطَرَا

الخلعة (بضم الخاء): خيار المال. والسطر جمع أسطار؛ مثل سبب وأسباب، ثم يجمع على أساطير. وجمع السطر أسطر وسطور؛ مثل أفلس وفلوس. والكتاب هنا يراد به اللوح المحفوظ.

}وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُواْ بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً**{ 59**

قوله تعالى:
{ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ أَن كَذَّبَ بِهَا ٱلأَوَّلُونَ } في الكلام حذف، والتقدير: وما منعنا أن نرسل بالآيات التي اقترحوها إلا أن يكذبوا بها فيهلكوا كما فُعِل بمن كان قبلهم. قال معناه قَتادة وابن جُريج وغيرهما. فأخر الله تعالى العذاب عن كفار قريش لعلمه أن فيهم من يؤمن وفيهم من يولد مؤمناً. وقد تقدّم في «الأنعام» وغيرها أنهم طلبوا أن يحوّل الله لهم الصَّفَا ذهبا وتتنحىّ الجبال عنهم؛ فنزل جبريل وقال: «إن شئت كان ما سأل قومك ولكنهم إن لم يؤمنوا لم يمهلوا. وإن شئت استأنيت بهم».
فقال: «لا، بل استأن بهم». و «أن» الأولى في محل نصب بوقوع المنع عليهم، و «أن» الثانية في محل رفع. والباء في «بالآيات» زائدة. ومجاز الكلام: وما منعنا إرسال الآيات إلا تكذيب الأوّلين، والله تعالى لا يكون ممنوعاً عن شيء؛ فالمعنى المبالغة في أنه لا يفعل، فكأنه قد منع عنه. ثم بيّن ما فعل بمن سأل الآيات فلم يؤمن بها فقال: { وَآتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً } أي آية دالة مضيئة نَيّرة على صدق صالح، وعلى قدرة الله تعالى. وقد تقدّم ذلك. { فَظَلَمُواْ بِهَا } أي ظلموا بتكذيبها.
وقيل: جحدوا بها وكفروا أنها من عند الله فٱستأصلهم الله بالعذاب.
{ وَمَا نُرْسِلُ بِٱلآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفاً } فيه خمسة أقوال:

- الأوّل ـ العبر والمعجزات التي جعلها الله على أيدي الرسل من دلائل الإنذار تخويفاً للمكذّبين.
- الثاني ـ أنها آيات الانتقام تخويفاً من المعاصي.
- الثالث ـ أنها تقلب الأحوال من صغر إلى شباب ثم إلى تكهّل ثم إلى مشيب، لتعتبر بتقلب أحوالك فتخاف عاقبة أمرك؛ وهذا قول أحمد بن حنبل رضي الله عنه.
- الرابع ـ القرآن.
- الخامس ـ الموت الذّريع؛ قاله الحسن.

{ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً **} 60**

قوله تعالى: { وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِٱلنَّاسِ }
قال ابن عباس: الناس هنا أهل مكة، وإحاطته بهم إهلاكه إياهم؛ أي أن الله سيهلكهم. وذكره بلفظ الماضي لتحقق كونه. وعنى بهذا الإهلاك الموعود ما جرى يوم بدر ويوم الفتح.
وقيل: معنى «أحاط بالناس» أي أحاطت قدرته بهم، فهم في قبضته لا يقدرون على الخروج من مشيئته؛ قاله مجاهد وابن أبي نَجيح. وقال الكلبيّ: المعنى أحاط علمه بالناس.
وقيل: المراد عصمته من الناس أن يقتلوه حتى يبلّغ رسالة ربه؛ أي وما أرسلناك عليهم حفيظاً، بل عليك التبليغ، فبلغ بجدّك فإنا نعصمك منهم ونحفظك، فلا تَهَبْهم، وٱمضِ لما آمرك به من تبليغ الرسالة، فقدرتنا محيطة بالكل؛ قال معناه الحسن وعروة وقتادة وغيرهم.

قوله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ } لمّا بين أن إنزال آيات القرآن تتضمن التخويف ضَمّ إليه ذكر آية الإسراء، وهي المذكورة في صدر السورة.
وفي البخاريّ والترمذيّ عن ابن عباس في قوله تعالى: { وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ }
قال: هي رؤيا عَيْن أُرِيها النبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة أسْرِيَ به إلى بيت المقدس.
قال: { وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلقُرْآنِ } هي شجرة الزَّقُّوم.
قال أبو عيسى الترمذيّ: هذا حديث صحيح.
وبقول ابن عباس قالت عائشة ومعاوية والحسن ومجاهد وقَتادة وسعيد بن جُبير والضحاك وابن أبي نَجيح وابن زيد.

وكانت الفتنة ارتدادَ قوم كانوا أسلموا حين أخبرهم النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه أُسْرِيَ به.
وقيل: كانت رؤيا نوم.
وهذه الآية تقضي بفساده، وذلك أن رؤيا المنام لا فتنة فيها، وما كان أحد لينكرها.
وعن ابن عباس قال: الرؤيا التي في هذه الآية هي رؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يدخل مكة في سنة الحُدَيْبِيَة، فَرُدّ فٱفتتن المسلمون لذلك، فنزلت الآية، فلما كان العام المقبل دخلها، وأنزل الله تعالى
{ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّؤْيَا بِٱلْحَقِّ } [الفتح: 27].
وفي هذا التأويل ضعف؛ لأن السورة مكية وتلك الرؤيا كانت بالمدينة.
وقال في رواية ثالثة: إنه عليه السلام رأى في المنام بني مروان يَنْزُون على منبره نَزْوَ القردَة، فساءه ذلك فقيل: إنما هي الدنيا أعطوها، فسُرِّيَ عنه، وما كان له بمكة منبر ولكنه يجوز أن يرى بمكة رؤيا المنبر بالمدينة.
وهذا التأويل الثالث قاله أيضاً سهل بن سعد رضي الله عنه.
قال سهل: إنما هذه الرؤيا هي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرى بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، فٱغتم لذلك، وما استجمع ضاحكاً من يومئذ حتى مات صلى الله عليه وسلم. فنزلت الآية مخبرة أن ذلك من تملكهم وصعودهم يجعلها الله فتنة للناس وامتحاناً.

وقرأ الحسن بن عليّ في خطبته في شأن بيعته لمعاوية:
{ وَإِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ }
[الأنبياء: 111]. قال ٱبن عطية: وفي هذا التأويل نظر، ولا يدخل في هذه الرؤيا عثمان ولا عمر بن عبد العزيز ولا معاوية.

قوله تعالى: { وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلقُرْآنِ } فيه تقديم وتأخير؛ أي ما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس. وفتنتُها أنهم لما خُوِّفوا بها قال أبو جهل استهزاء: هذا محمد يتوعّدكم بنار تحرق الحجارة، ثم يزعم أنها تنبت الشجر والنارُ تأكل الشجر، وما نعرف الزقوم إلا التمر والزبد، ثم أمر أبو جهل جاريةً فأحضرت تمراً وزبداً وقال لأصحابه: تزقمّوا. وقد قيل: إن القائل ما نعلم الزقوم إلا التمر والزبد ٱبن الزِّبَعْرَى حيث قال: كثّر الله من الزقوم في داركم؛ فإنه التمر بالزبد بلغة اليمن. وجائز أن يقول كلاهما ذلك. فافتتن أيضاً لهذه المقالة بعض الضعفاء، فأخبر الله تعالى نبيّه عليه السلام أنه إنما جعل الإسراء وذكر شجرة الزقوم فتنة واختباراً ليَكْفر من سبق عليه الكفر ويصدّق من سبق له الإيمان. كما روي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قيل له صبيحة الإسراء: إن صاحبك يزعم أنه جاء البارحة من بيت المقدس! فقال: إن كان قال ذلك فقد صدق. فقيل له: أتصدقه قبل أن

تسمع منه؟ فقال: أين عقولكم؟ أنا أصدّقه بخبر السماء، فكيف لا أصدقه بخبر بيت المقدس، والسماء أبعد منها بكثير.

قلت : "ذكر هذا الخبر ابن إسحاق، ونصه: «قال كان من الحديث فيما بلغني عن مسراه صلى الله عليه وسلم عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخُدْرِيّ وعائشة ومعاوية بن أبي سفيان والحسن بن أبي الحسن وابن شهاب الزُّهْرِيّ وقتادة وغيرهم من أهل العلم وأمّ هانىء بنت أبي طالب، ما اجتمع في هذا الحديث، كُلٌّ يحدّث عن بعض ما ذكر من أمره حين أسري به صلى الله عليه وسلم، وكان في مسراه وما ذكر عنه بلاء وتمحيص وأمر من أمر الله عز وجل في قدرته وسلطانه فيه عبرة لأولي الألباب، وهدى ورحمة وثبات لمن آمن وصدّق وكان من أمر الله تعالى على يقين؛ فأسرى به صلى الله عليه وسلم كيف شاء وكما شاء ليُرِيَه من آياته ما أراد، حتى عاين ما عاين من أمره وسلطانه العظيم، وقدرته التي يصنع بها ما يريد. "

وكان عبد الله بن مسعود فيما بلغني عنه يقول: **" أُتِيَ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبراق ـ وهي الدابة التي كانت تُحمل عليها الأنبياء قبله تضع حافرها في منتهى طرفها ـ فحمل عليها، ثم خرج به صاحبه يُري الآيات فيما بين السماء والأرض، حتى انتهى إلى بيت المقدس،**
فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء قد جُمعوا له فصلّى بهم ثم أُتِيَ بثلاثة آنية:

- **إناء فيه لبن**
- **وإناء فيه خمر؛**
- **وإناء فيه ماء.**

قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فسمعت قائلاً يقول حين عُرضت عليّ

- **إن أخذ الماء فغَرِق وغَرِقت أمّته**
- **وإن أخذ الخمر فغَوِيَ وغَوَتْ أمته**
- **وإن أخذ اللبن فهُدِيَ وهُدِيَتْ أمته**

قال فأخذت إناء اللبن فشربت فقال لي جبريل هُدِيتَ وهُدِيتْ أمتُك يا محمد ".

قال ابن إسحاق: وحدّثت عن الحسن أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

" بينما أنا نائم في الحِجْر جاءني جبريل عليه السلام فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً ثم عُدت لمضجَعِي فجاءني الثانية فهمزني بقدمه فجلست فلم أر شيئاً فعدت

لمضجَعِي فجاءني الثالثة فهمزني بقدمه فجلست فأخذ بعضدِي فقمت معه فخرج إلى باب المسجد فإذا دابة أبيضُ بين البغل والحمار في فخذيه جناحان يَحْفِز بهما رجليه يضع حافره في منتهى طَرْفه فحملني عليه ثم خرج معي لا يفوتني ولا أفوته ".

قال ابن إسحاق: وحُدثت عن قتادة أنه قال: حُدثت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **" لما دنوت منه لأركبه شَمَسَ فوضع جبريل يده على مَعْرَفَته ثم قال ألا تستحي يا بُراق مما تصنع فوالله ما ركبك عبد لله قبل محمد أكرم عليه منه قال فاستحيا حتى أرفض عرقاً ثم قَرّ حتى ركبته ".**

قال الحسن في حديثه: فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومضى معه (جبريل) حتى انتهى إلى بيت المقدس، فوجد فيه إبراهيم وموسى وعيسى في نفر من الأنبياء، فأمّهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلّى بهم ثم أتى بإناءين:

- في أحدهما خمر
- وفي الآخر لبن،

قال: فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم إناء اللبن فشرب منه وترك إناء الخمر.

قال: فقال له جبريل: هُديت الفِطْرة وهُديت أمَّتُك وحُرّمت عليكم الخمر.

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مكة، فلما أصبح غَدَا على قريش فأخبرهم الخبر،

فقال أكثر الناس: هذا والله الأمر البَيّن! والله إن العير لتطّرد شهراً من مكة إلى الشأم، مدبرة شهرا ومقبلةً شهرا، فيذهب ذلك محمد في ليلة واحدة ويرجع إلى مكة!

قال: فارتد كثير ممن كان أسلم،

وذهب الناس إلى أبي بكر فقالوا: هل لك يا أبا بكر في صاحبك! يزعم أنه قد جاء هذه الليلة بيت المقدس، وصلّى فيه ورجع إلى مكة.

قال فقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: إنكم تكذبون عليه. فقالوا: بلى، ها هوذا في المسجد يحدّث به الناس.

فقال أبو بكر: والله إن كان قاله لقد صدق فما يعجّبكم من ذلك! فوالله إنه ليخبرني أن الخبر ليأتيه من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدّقه، فهذا أبعد مما تعجبون منه.

ثم أقبل حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «يا نبيّ الله، أحدّثتَ هؤلاء أنك جئت ببيت المقدس هذه الليلة؟ قال «نعم»
قال: يا نبيّ الله، فصفه لي فإني قد جئته؟
فقال الحسن: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «رفع لي حتى نظرت إليه»
فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يصفه لأبي بكر ويقول أبو بكر رضي الله عنه: **"صدقت، أشهد أنك رسول الله"**. كلما وصف له منه شيئاً قال: **صدقت، أشهد أنك رسول الله**. قال: حتى إذا انتهى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضي الله عنه: **«وأنت يا أبا بكر الصدّيق» فيومئذٍ سماه الصدّيق**.
قال الحسن: وأنزل الله تعالى فيمن ارتدّ عن الإسلام لذلك:
{ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّؤيَا ٱلَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِي ٱلقُرْآنِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَاناً كَبِيراً }
فهذا حديث الحسن عن مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم وما دخل فيه من حديث قتادة.
وذكر باقي الإسراء عمن تقدّم في السيرة.
وقال ابن عباس: هذه الشجرة بنو أميّة، وأن النبيّ صلى الله عليه وسلم نفى الحَكَم.
وهذا قول ضعيف محدَث والسورة مكية، فيبعد هذا التأويل، إلا أن تكون هذه الآية مدنية، ولم يثبت ذلك.
وقد قالت عائشة لمروان: لعن الله أباك وأنت في صلبه فأنت بعض من لعنة الله.

ثم قال: «والشجرة الملعونة في القرآن» ولم يجز في القرآن لعن هذه الشجرة، ولكن الله لعن الكفار وهم آكلوها.
والمعنى: والشجرة الملعونة في القرآن آكلوها.
ويمكن أن يكون هذا على قول العرب لكل طعام مكروه ضار: ملعون. وقال ابن عباس: الشجرة الملعونة هي هذه الشجرة التي تلتوي على الشجر فتقتله، يعني الكَشُوث. { وَنُخَوِّفُهُمْ } أي بالزّقوم. { فَمَا يَزِيدُهُمْ } التخويف إلا الكفر.
101 to 104
{

وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَسْئَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يٰمُوسَىٰ مَسْحُوراً}

قوله تعالى: { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ } اختلف في هذه الآيات؛
فقيل: هي بمعنى آيات الكتاب؛
كما روى الترمذي والنسائي عن صفوان بن عسّال المراديّ

" أن يهوديين قال أحدهما لصاحبه: اذهب بنا إلى هذا النبيّ نسأله؛ فقال: لا تقل له نبيّ فإنه إن سمعنا كان له أربعة أعين؛ فأتيا النبيّ صلى الله عليه وسلم فسألاه عن قول الله تعالى: «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات» فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

- **«لا تشركوا بالله شيئاً**
- **ولا تزنوا**
- **ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلا بالحق**
- **ولا تسرقوا**
- **ولا تسحروا**
- **ولا تمشوا ببريء إلى سلطان فيقتله**
- **ولا تأكلوا الربا**
- **ولا تقذفوا محصنة**
- **ولا تفرّوا من الزحف ـ شك شعبة ـ**
- **وعليكم (يا معشر) اليهود خاصة ألا تعدوا في السبت»**

فقبلا يديه ورجليه وقالا: نشهد أنك نبيّ.
قال: «فما يمنعكما أن تسلما» قالا: إن داود دعا الله ألا يزال في ذريته نبيّ وإنا نخاف إن أسلمنا أن تقتلنا اليهود "

قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وقد مضى في البقرة. وقيل: الآيات بمعنى المعجزات والدلالات.
قال ابن عباس والضحاك: الآيات التسع:

- العصا
- واليد
- واللسان
- والبحر
- والطوفان
- والجراد
- والقُمّل
- والضفادع
- والدم؛

آيات مفصَّلات.
وقال الحسن والشعبيّ: الخمس المذكورة في «الأعراف»؛ يعنيان

- الطوفان وما عطف عليه،
- واليد
- والعصا والسنين والنقص من الثمرات.

وروي نحوه عن الحسن؛ إلا أنه يجعل السنين والنقص من الثمرات واحدة، وجعل التاسعة تلقّف العصا ما يأفكون.
وعن مالك كذلك؛ إلا أنه جعل مكان السنين والنقص من الثمرات: البحر والجبل.
وقال محمد بن كعب: هي الخمس التي في «الأعراف» والبحر والعصا والحجر والطمس على أموالهم. وقد تقدّم شرح هذه الآيات مستوفًى والحمد لله.
{ فَٱسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ } أي سلهم يا محمد إذ جاءهم موسى بهذه الآيات، حسبما تقدّم بيانه في يونس. وهذا سؤال استفهام ليعرف اليهود صحة ما يقول محمد صلى الله عليه وسلم.
{ فقال له فِرْعَون إنّي لأظنّك يا مُوسى مَسْحُوراً } أي ساحراً بغرائب أفعالك؛ قاله الفراء وأبو عبيدة. فوضع المفعول موضع الفاعل؛ كما تقول: هذا مشؤوم وميمون، أي شائم ويامن. وقيل مخدوعاً. وقيل مغلوباً؛ قاله مقاتل. وقيل غير هذا؛ وقد تقدّم.
وعن ابن عباس وأبي نهيك أنهما قرأا «فسأل بني إسرائيل» على الخبر؛ أي سأل موسى فرعون أن يخلي بني إسرائيل ويطلق سبيلهم ويرسلهم معه.
102
}قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰؤُلاۤءِ إِلاَّ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يٰفِرْعَوْنُ مَثْبُوراً**{ 102**

قوله تعالى: { قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰؤُلاۤءِ } يعني الآيات التسع.
و«أنزل» بمعنى أوجد.
{ إِلاَّ رَبُّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلأَرْضِ بَصَآئِرَ } أي دلالات يستدل بها على قدرته ووحدانيته.
وقراءة العامة
«علمت» بفتح التاء، خطاباً لفرعون. وقرأ الكسائي بضم التاء، وهي قراءة عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه؛
وقال: والله ما علم عدوّ الله ولكن موسى هو الذي علم، فبلغت ابن عباس فقال: إنها «لقد علمت»، واحتج بقوله تعالى: {وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْماً وَعُلُوّاً }.
ونسب فرعون إلى العناد.
وقال أبو عبيد: والمأخوذ به عندنا فتح التاء، وهو الأصح للمعنى الذي احتج به ابن عباس؛

ولأن موسى لا يحتج بقوله: علمت أنا، وهو الرسول الداعي، ولو كان مع هذا كلّه تصح به القراءة عن عليّ لكانت حجة، ولكن لا تثبت عنه،
إنما هي عن كلثوم المراديّ وهو مجهول لا يعرف، ولا نعلم أحداً قرأ بها غير الكسائي.
وقيل: إنما أضاف موسى إلى فرعون العلم بهذه المعجزات؛
- لأن فرعون قد علم مقدار ما يتهيأ للسحرة فعله،
- وأن مثل ما فعل موسى لا يتهيأ لساحر،
- وأنه لا يقدر على فعله إلا من يفعل الأجسام ويملك السموات والأرض.

وقال مجاهد: دخل موسى على فرعون في يوم شات وعليه قطيفة له، فألقى موسى عصاه فإذا هي ثعبان، فرأى فرعون جانبي البيت بين فُقْمَيْها، ففزع وأحدث في قطيفته.
(الفقم بالضم اللحى، وفي الحديث **" من حفظ ما بين فقميه "** أي ما بين لحييه).
{ وَإِنِّي لأَظُنُّكَ يٰفِرْعَونُ مَثْبُوراً } الظن هنا بمعنى التحقيق. والثبور: الهلاك والخسران أيضاً. قال الكُمَيْت:

ورأتْ قَضاعة في الأيَا مِن رأي مَثْبُورٍ وثابر

أي مخسور وخاسر، يعني في انتسابها إلى اليمن. وقيل: ملعوناً رواه المنهال عن سعيد بن جبير عن ابن عباس. وقاله أبان بن تغلب. وأنشد:

يا قومنا لا تَرُومُوا حَرْبَنَا سَفَهاً إنّ السَّفاه وإن البَغْيَ مثبورُ

أي ملعون. وقال ميمون بن مهران عن ابن عباس: «مثبوراً» ناقص العقل. ونظر المأمون رجلاً فقال له: يا مثبور؛ فسئل عنه قال: قال الرشيد قال المنصور لرجل: مثبور؛ فسألته فقال: حدثني ميمون بن مهران... فذكره. وقال قتادة هالكاً. وعنه أيضاً والحسن ومجاهد: مهلكاً. والثُّبُور: الهلاك؛ يقال: ثَبَر الله العدوّ ثبوراً أهلكه. وقيل: ممنوعاً من الخير. حكى أهل اللغة: ما ثبرك عن كذا أي ما منعك منه. وثبره الله يثبره ويُثَبِّره لغتان. قال ابن الزِّبَعْرَى:

إذ أجاري الشيطان في سنَن الغَـ ـيِّ ومن مال مَيْلَه مثبور

الضحاك: «مثبوراً» مسحوراً. ردّ عليه مثل ما قال له باختلاف اللفظ. وقال ابن زيد: «مثبوراً» مخبولاً لا عقل له.

103 and 104

{فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَن مَّعَهُ جَمِيعاً**} 103**

{ ***وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً **104}

قوله تعالى: { فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلأَرْضِ } أي أراد فرعون أن يخرج موسى وبني إسرائيل من أرض مصر إما بالقتل أو بالإبعاد؛ فأهلكه الله عز وجل.
{ وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ } أي من بعد إغراقه.
{ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ٱسْكُنُواْ ٱلأَرْضَ } أي أرض الشأم ومصر.
{ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلآخِرَةِ } أي القيامة
{ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً } أي من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر لا يتعارفون ولا ينحاز أحد منكم إلى قبيلته وحَيّه.
وقال ابن عباس وقتادة: جئنا بكم جميعاً من جهات شتّى. والمعنى واحد.
قال الجوهري: واللفيف ما اجتمع من الناس من قبائل شتى؛
يقال: جاء القوم بلفّهم ولفيفهم، أي وأخلاطهم.
وقوله تعالى: { جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفاً } أي مجتمعين مختلطين.
وطعام لفيف إذا كان مخلوطاً من جنسين فصاعداً.
وفلان لفيف فلان أي صديقه.
قال الأصمعي: اللفيف جمعٌ وليس له واحد، وهو مثل الجميع.
والمعنى: أنهم يخرجون وقت الحشر من القبور كالجراد المنتشر، مختلطين لا يتعارفون.
وقال الكلبي: «فإذا جاء وعد الآخرة» يعني مجيء عيسى عليه السلام من السماء.

سورة النجم قرطبي
}وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ { * { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ { * { وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ { * }إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ { * { عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ { * { ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ { * { وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ { * { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ { * { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ { * { فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ{

قوله تعالى: { وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ } قال ٱبن عباس ومجاهد: معنى { وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ } والثُّرَيَّا إذَا سقطت مع الفجر؛ والعرب تسمي الثُّريَّا نجماً وإن كانت في العدد نجوماً؛ يقال: إنها سبعة أنجم، ستة منها ظاهرة وواحد خفيّ يَمتحِن الناس به أبصارهم. وفي «الشِّفا» للقاضي عياض: أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان يرى في الثُّريا أحد عشر نجماً. وعن مجاهد أيضاً أن المعنى والقرآن إذا نزل؛ لأنه كان ينزل نجوماً. وقاله الفرّاء. وعنه أيضاً: يعني نجوم السماء كلها حين تغرب. وهو قول الحسن قال: أقسم الله بالنجوم إذا غابت. وليس يمتنع أن يعبر عنها بلفظ واحد ومعناه جمْع؛ كقول الراعي:

فَبَاتَتْ تَعُدُّ النّجْمَ في مُسْتَحِيرةٍ   سَرِيع بِأيدي الآكِلِين جمُودُها

وقال عمر بن أبي ربيعة:

أَحْسَنُ النّجْمِ في السماءِ الثُّرَيَّا   وَالثُّرَيَّا في الأرضِ زَيْنُ النِّساءِ

وقال الحسن أيضاً: المراد بالنجم النجوم إذا سقطت يوم القيامة.
وقال السدّي: إن النجم ههنا الزُّهرَة لأن قوماً من العرب كانوا يعبدونها.
وقيل: المراد به النجوم التي ترجم بها الشياطين؛
وسببه أن الله تعالى لما أراد بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولاً كثر ٱنقضاض الكواكب قبل مولده، فذُعر أكثر العرب منها وفزعوا إلى كاهن كان لهم ضريراً، كان يخبرهم بالحوادث فسألوه عنها فقال: ٱنظروا البروج الاثني عشر فإن ٱنقضّ منها شيء فهو ذهاب الدنيا، فإن لم ينقضّ منها شيء فسيحدث في الدنيا أمر عظيم، فاستشعروا ذلك؛
فلما بُعِث رسولُ الله صلى الله عليه وسلم كان هو الأمر العظيم الذي ٱستشعروه، فأنزل الله تعالى: { وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ } أي ذلك النجم الذي هوى هو لهذه النبوّة التي حدثت.
وقيل: النجم هنا هو النبت الذي ليس له ساق، وهَوَى أي سقط على الأرض.

وقال جعفر بن محمد بن علي بن الحسين رضي الله عنهم: «وَالنَّجْمِ» يعني محمداً صلى الله عليه وسلم
«إِذَا هَوَى» إذا نزل من السماء ليلة المعراج.
وعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما:
" أن عُتبة بن أبي لهب وكان تحته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد الخروج إلى الشام فقال: لآتينّ محمداً فلأوذينّه، فأتاه فقال: يا محمد أنا كافر بالنجم إذا هوى، وبالذي دنا فتدلى. ثم تفل في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وردّ عليه ٱبنته وطَلّقها؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:«اللّهم سَلِّط عليه كلباً من كلابك» وكان أبو طالب حاضراً فوجم لها وقال: ما كان أغناك يا بن أخي عن هذه الدعوة، فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره، ثم خرجوا إلى الشام، فنزلوا منزلاً، فأشرف عليهم راهب من الدير فقال لهم: إن هذه أرض مسبعة. فقال أبو لهب لأصحابه: أغيثونا يا معشر قريش هذه الليلة! فإني أخاف على ٱبني من دعوة محمد؛ فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم، وأحدقوا بعتبة، فجاء الأسد يتَشمَّم وجوههم حتى ضرب عُتْبة فقتله "
وقال حسان:

مَنْ يَرْجِعِ العام إلى أَهْلِه   فَمَا أكِيلُ السَّبْعِ بالرَّاجِعِ

وأصل النَّجْم الطلوع؛ يقال: نَجَم السنُّ ونَجَم فلانٌ ببلاد كذا أي خرج على السلطان.
والهُوِيّ النزول والسقوط؛ يقال: هَوَى يَهْوِي هُوِيّاً مثل مَضَى يَمْضِي مُضِيًّا؛ قال زهير:

فَشَجَّ بِهَا الأماعِزَ وهْي تَهْوِي هُوِيَّ الدَّلْوِ أَسْلَمَها الرِّشَاءُ

وقال آخر:

بَيْنَما نَحْنُ بالبَلاَكِثِ فالْقَا ع سِرَاعاً والعِيسُ تَهْوِي هُوِيّاً
خَطَرتْ خَطْرَةٌ على القَلْبِ مِن ذِكْـ ـرَاكِ وَهْناً فما ٱستطعْتُ مُضيَّا

الأصمعي: هَوَى بالفتح يَهْوِي هُوَيًّا أي سقط إلى أسفل. قال: وكذلك ٱنهوى في السير إذا مضى فيه، وهَوَى وٱنْهَوى فيه لغتان بمعنًى، وقد جمعهما الشاعر في قوله:

وكَمْ مَنْزِلٍ لولايَ طِحْتَ كما هَوَى بأجرامِهِ مِنْ قُلّةِ النِّيق مَنْهَوِي

ويقال في الحُبّ: هَوِيَ بالكسر يَهْوَى هَوًى؛ أي أحبّ.

قوله تعالى: { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ } هذا جواب القسم؛ أي ما ضلّ محمد صلى الله عليه وسلم عن الحق وما حاد عنه. { وَمَا غَوَىٰ } الغيَّ ضد الرشد أي ما صار غاوياً.
وقيل: أي ما تكلم بالباطل.
وقيل: أي ما خاب مما طلب والغيّ الخيبة؛ قال الشاعر:

فمن يَلْقَ خيراً يَحْمَدِ النّاسُ أَمْرَهُ ومَنْ يَغْوَ لا يَعْدَمْ على الغَيِّ لائمَا

أي مَن خاب في طلبه لامه الناس. ثم يجوز أن يكون هذا إخباراً عما بعد الوحي.
ويجوز أن يكون إخباراً عن أحواله على التعميم؛ أي كان أبداً موحداً لله.
وهو الصحيح على ما بيناه في «الشورى» عند قوله: { مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَابُ وَلاَ ٱلإِيمَانُ }.
قوله تعالى: { وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ. إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ }.

فيه مسألتان:
الأولى: قوله تعالى: { وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰ } قال قتادة: وما ينطق بالقرآن عن هواه { إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ } إليه. وقيل: «عَنِ الْهَوَى» أي بالهوى؛ قاله أبو عبيدة؛ كقوله تعالى:
{ فَاسْأَلْ بِهِ خَبِيراً }[الفرقان: 59] أي فٱسأل عنه.
النحاس: قول قتادة أولى، وتكون «عن» على بابها، أي ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل؛ لأن بعده: { إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ }.

الثانية: قد يحتج بهذه الآية من لا يجوّز لرسول الله صلى الله عليه وسلم الاجتهاد في الحوادث. وفيها أيضاً دلالة على أن السُّنة كالوحي المنزل في العمل. وقد تقدّم في مقدّمة الكتاب حديث المِقدام بن معدي كرب في ذلك والحمد لله. قال السجستاني: إن شئت أبدلت { إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَىٰ } مِن { مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ } قال ٱبن الأنباري:

وهذا غلط؛ لأن «إنْ» الخفيفة لا تكون مبدلة من «ما» الدليل على هذا أنك لا تقول: والله ما قمت إن أنا لقاعد.

قوله تعالى: { عَلَّمَهُ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ } يعني جبريل عليه السلام في قول سائر المفسرين؛ سوى الحسن فإنه قال: هو الله عز وجل، ويكون قوله تعالى:
{ ذُو مِرَّةٍ } على قول الحسن تمام الكلام، ومعناه ذو قوّة والقوة من صفات الله تعالى؛ وأصله من شدّة فتل الحبل، كأنه ٱستمر به الفتل حتى بلغ إلى غاية يصعب معها الحل.
ثم قال: { فَٱسْتَوَىٰ } يعني الله عز وجل؛ أي ٱستوى على العرش. روي معناه عن الحسن. وقال الربيع بن أنس والفراء: {فَٱسْتَوَىٰ }
{ وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ } أي ٱستوى جبريل ومحمد عليهما الصلاة والسلام.
وهذا على العطف على المضمر المرفوع بـ «هو». وأكثر العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا الموضع أظهروا كناية المعطوف عليه؛ فيقولون: ٱستوى هو وفلان؛ وقلما يقولون ٱستوى وفلان؛ وأنشد الفرّاء:

أَلَمْ تَرَ أنّ النّبْعَ يَصلُبُ عُودُهُ   ولا يَسْتوِي والخِرْوَعُ المتقصِّفُ

أي لا يستوي هو والخِروع؛ ونظير هذا:
{ أَإِذَا كُنَّا تُرَاباً وَآبَآؤُنَآ }[النمل: 67] والمعنى أئذا كنا تراباً نحن وآباؤنا. ومعنى الآية: ٱستوى جبريل هو ومحمد عليهما السلام ليلة الإسراء بالأفق الأعلى.
وأجاز العطف على الضمير لئلا يتكرر. وأنكر ذلك الزجاج إلا في ضرورة الشعر.
وقيل: المعنى فٱستوى جبريل بالأفق الأعلى، وهو أجود. وإذا كان المستوي جبريل فمعنى «ذُو مِرَّةٍ» في وصفه ذو منطق حسن؛ قاله ٱبن عباس.
وقال قتادة: ذو خَلْق طويل حسن.
وقيل: معناه ذو صحة جسم وسلامة من الآفات؛ ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم:
" لا تحلّ الصدقة لغنيّ ولا لِذِي مِرَّةٍ سَوِيٍّ " وقال امرؤ القيس:

كنتُ فيهم أبداً ذا حِيلة   مُحْكَمَ المِرَّةِ مأمُونَ الْعُقَد

وقد قيل: «ذُو مِرَّةٍ» ذو قوة. قال الكلبي: وكان من شدّة جبريل عليه السلام: أنه ٱقتلع مدائن قوم لوطٍ من الأرض السفلى، فحملها على جناحه حتى رفعها إلى السماء، حتى سمع أهل السماء نبح كلابهم وصياح ديكتهم ثم قلبها. وكان من شدّته أيضاً: أنه أبصر إبليس يكلم عيسى عليه السلام على بعض عقاب من الأرض المقدّسة فنفحه بجناحه نفحة ألقاه بأقصى جبل في الهند، وكان من شدّته: صيحته بثمود في عددهم وكثرتهم، فأصبحوا جاثمين خامدين. وكان من شدته: هبوطه من السماء على الأنبياء وصعوده إليها في أسرع من الطرف. وقال قُطْرُب: تقول العرب لكل جَزل الرأي حصيف العقل: ذُو مِرّةٍ. قال الشاعر:

قد كنتُ قبلَ لِقاكُمُ ذا مِرَّةٍ   عندي لِكلّ مُخاصِمٍ مِيزانُهُ

وكان من جزالة رأيه وحصَافة عقله: أن الله ٱئتمنه على وحيه إلى جميع رسله. قال الجوهري: والمِرَّة إحدى الطبائع الأربع، والمِرّة القوّة وشدّة العقل أيضاً. ورجل مرير أي قويّ ذوِ مرةٍ. قال:

تَرى الرَّجُل النّحيفَ فتزدريه   وحَشْوُ ثِيابِه أسدٌ مَرِيرٌ

وقال لَقِيط:

حتى ٱستمرّتْ على شَزْرٍ مَرِيرتهُ   مُرُّ العزِيمةِ لا رَتًّا ولا ضَرَعَا

وقال مجاهد وقتادة: «ذُو مِرَّةٍ» ذو قوّة؛ ومنه قول خُفَاف بن نَدْبة:

إنيّ ٱمرؤٌ ذو مِرّةٍ فاستبقِنِي   فِيما يَنُوبُ مِن الخُطوبِ صَلِيبُ

فالقوة تكون من صفة الله عز وجل، ومن صفة المخلوق.

{ فَٱسْتَوَىٰ } يعني جبريل على ما بينا؛ أي ٱرتفع وعلا إلى مكان في السماء بعد أن علَّم محمداً صلى الله عليه وسلم، قاله سعيد بن المسيِّب وٱبن جبير.

وقيل: { فَٱسْتَوَىٰ } أي قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها؛ لأنه كان يأتي إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم في صورة الأدميين كما كان يأتي إلى الأنبياء، فسأله النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يريه نفسه التي جبله الله عليها فأراه نفسه مرتين: مرة في الأرض ومرة في السماء؛ فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، وكان النبيّ صلى الله عليه وسلم بحراءٍ، فطلع له جبريل من المشرق فسد الأرض إلى المغرب، فخر النبيّ صلى الله عليه وسلم مغشيًّا عليه، فنزل إليه في صورة الآدميين وضمّه إلى صدره، وجعل يمسح الغبار عن وجهه؛ فلما أفاق النبيّ صلى الله عليه وسلم قال:

" يا جبريل ما ظننت أن الله خلق أحداً على مثل هذه الصورة "

فقال: يا محمد إنما نشرت جناحين من أجنحتي وإن لي ستمائة جناح سَعَة كل جناح ما بين المشرق والمغرب.

فقال: «إن هذا لعظيم» فقال: وما أنا في جنب ما خلقه الله إلا يسيراً، ولقد خلق الله إسرافيل له ستمائة جناح، كل جناح منها قدر جميع أجنحتي، وإنه ليتضاءل أحياناً من مخافة الله تعالى حتى يكون بقدر الوصَع. يعني العصفور الصغير؛ دليله قوله تعالى: { **وَلَقَدْ رَآهُ بِٱلأُفُقِ ٱلْمُبِينِ** }[التكوير: 23] وأما في السماء فعند سِدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا محمداً صلى الله عليه وسلم.

وقول ثالث أن معنى «فَاسْتَوَى» أي ٱستوى القرآن في صدره. وفيه على هذا وجهان: أحدهما في صدر جبريل حين نزل به عليه.

الثاني في صدر محمد صلى الله عليه وسلم حين نزل عليه.

وقول رابع أن معنى «فَاسْتَوَى» فاعتدل يعني محمداً صلى الله عليه وسلم. وفيه على هذا وجهان: أحدهما فاعتدل في قوّته. الثاني في رسالته. ذكرهما الماوردي.

قلت: وعلى الأوّل يكون تمام الكلام «ذُو مرَّةٍ»، وعلى الثاني «شَدِيدُ الْقُوَى».
وقول خامس أن معناه فارتفع. وفيه على هذا وجهان:

- أحدهما أنه جبريل عليه السلام ٱرتفع إلى مكانه على ما ذكرنا آنفاً.
- الثاني أنه النبيّ صلى الله عليه وسلم ٱرتفع بالمعراج.

وقول سادس «فَاسْتَوَى» يعني الله عز وجل، أي ٱستوى على العرش على قول الحسن. وقد مضى القول فيه في «الأعراف».
قوله تعالى: { وَهُوَ بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ } جملة في موضع الحال، والمعنى فاستوى عالياً، أي ٱستوى جبريل عالياً على صورته ولم يكن النبيّ صلى الله عليه وسلم قبل ذلك يراه عليها حتى سأله إياها على ما ذكرنا.

والأفق ناحية السماء وجمعه آفاق. وقال قتادة: هو الموضع الذي تأتي منه الشمس. وكذا قال سفيان: هو الموضع الذي تطلع منه الشمس. ونحوه عن مجاهد. ويقال: أفْق وأُفُق مثل عُسْر وعُسُر. وقد مضى في «حم السجدة». وفرس أُفُق بالضم أي رائع وكذلك الأنثى؛ قال الشاعر:

أرجِّلُ لِمَّتِي وَأَجُرُّ ذَيْلِي وتَحمِلُ شِكّتِي أفقٌ كُمَيْتُ

وقيل: «وَهُوَ» أي النبيّ صلى الله عليه وسلم { بِٱلأُفُقِ ٱلأَعْلَىٰ } يعني ليلة الإسراء وهذا ضعيف؛ لأنه يقال: ٱستوى هو وفلان، ولا يقال ٱستوى وفلان إلا في ضرورة الشعر. والصحيح ٱستوى جبريل عليه السلام وجبريل بالأفق الأعلى على صورته الأصلية؛ لأنه كان يتمثل للنبيّ صلى الله عليه وسلم إذا نزل بالوحي في صورة رجل، فأحبّ النبيّ صلى الله عليه وسلم أن يراه على صورته الحقيقية، فاستوى في أفق المشرق فملأ الأفق.

قوله تعالى: { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ } أي دنا جبريل بعد ٱستوائه بالأفق الأعلى من الأرض { فَتَدَلَّىٰ } فنزل على النبيّ صلى الله عليه وسلم بالوحي. المعنى أنه لما رأى النبيّ صلى الله عليه وسلم من عظمته ما رأى، وهاله ذلك ردّه الله إلى صورة آدمي حين قرب من النبيّ صلى الله عليه وسلم بالوحي، وذلك قوله تعالى:
{ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ } يعني أوحي الله إلى جبريل وكان جبريل
{ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ } قاله ٱبن عباس والحسن وقتادة والربيع وغيرهم. وعن ٱبن عباس أيضاً في قوله تعالى: { ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ } أن معناه أن الله تبارك وتعالى «دَنَا» من محمد صلى الله عليه وسلم
{ فَتَدَلَّىٰ }. وروى نحوه أنس بن مالك عن النبيّ صلى الله عليه وسلم. والمعنى دنا منه أمره وحكمه. وأصل التدلي النزول إلى الشيء حتى يقرب منه فوضع موضع القرب؛ قال لبيد:

فتَدَلّيْت عليه قافِلاً   وعلى الأرض غيَابَات الطّفَل

وذهب الفرّاء إلى أن الفاء في «فَتَدَلَّى» بمعنى الواو، والتقدير ثم تدلى جبريل عليه السلام ودنا. ولكنه جائز إذا كان معنى الفعلين واحداً أو كالواحد قدمت أيهما شئت، فقلت فدنا فقرب وقرب فدنا، وشتمني فأساء وأساء فشتمني؛ لأن الشتم والإساءة شيء واحد. وكذلك قوله تعالى:

{ **ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ** }[القمر: 1] المعنى والله أعلم: ٱنشق القمر وٱقتربت الساعة.

وقال الجرجاني: في الكلام تقديم وتأخير أي تدلى فدنا؛ لأن التدلّي سبب الدنوّ.

وقال ٱبن الأنباري: ثم تدلّى جبريل أي نزل من السماء فدنا من محمد صلى الله عليه وسلم.

وقال ٱبن عباس: تدلّى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا من ربه.

وسيأتي. ومن قال: المعنى فٱستوى جبريل ومحمد بالأفق الأعلى قد يقول: ثم دنا محمد من ربه دنوّ كرامة فتدلّى أي هَوَى للسجود.

وهذا قول الضحاك. قال القشيري: وقيل على هذا تدلّى أي تَدلّلَ؛ كقولك تَظَنَّى بمعنى تَظَنَّنَ، وهذا بعيد؛ لأن الدلال غير مرضيّ في صفة العبودية.

قوله تعالى: { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ } أي «كان» محمد من ربه أو من جبريل { قَابَ قَوْسَيْنِ } أي قدر قوسين عربيتين. قاله ٱبن عباس وعطاء والفرّاء.

الزمخشري: فإن قلت كيف تقدير قوله: { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ } قلت: تقديره فكان مقدار مسافة قربه مثل قاب قوسين، فحذفت هذه المضافات كما قال أبو علي في قوله:

وَقَدْ جَعَلَتْنِي مِن حَزِيمَةَ إِصْبَعَا

أي ذا مقدار مسافة إصبع «أَوْ أَدْنَى» أي على تقديركم؛ كقوله تعالى:

{ **أَوْ يَزِيدُونَ** }[الصافات: 174].

وفي الصحاح: وتقول بينهما قابُ قَوْس، وقِيبُ قَوْس وقادَ قَوْس، وقِيدُ قَوْس؛ أي قَدْر قَوْسٍ. وقرأ زيد بن علي «قَادَ» وقرىء «قِيدَ» و «قَدْرَ». ذكره الزمخشري. وألقابُ ما بين المَقْبِض والسِّيَة. ولكل قوس قابان. وقال بعضهم في قوله تعالى: { قَابَ قَوْسَيْنِ } أراد قابي قوس فقلبه.

وفي الحديث: **" ولَقَابُ قوسِ أحدِكم من الجنة وموضع قِدّه خيرٌ من الدنيا وما فيها "** والقِدّ السوط.

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: **" ولَقَابُ قوسِ أحدِكم في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها"** وإنما ضرب المثل بالقوس، لأنها لا تختلف في القاب. والله أعلم.

قال القاضي عِياض: ٱعلم أن ما وقع من إضافة الدنوّ والقرب من الله أو إلى الله فليس بدنوّ مكانٍ ولا قرب مَدًى، وإنما دنوّ النبيّ صلى الله عليه وسلم من ربه وقرْبه منه: إبانةُ عظيم منزلته، وتشريف رتبته، وإشراق أنوار معرفته، ومشاهدة أسرار غيبه وقدرته. ومِن الله تعالى له: مبرةٌ وتأنيس وبسط وإكرام. ويتأوّل في قوله عليه السلام: " ينزل ربنا إلى سماء الدنيا " على أحد الوجوه: نزول إجمال وقبول وإحسان.

قال القاضي: وقوله: { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ } فمن جعل الضمير عائداً إلى الله تعالى لا إلى جبريل كان عبارة عن نهاية القرب، ولطف المحل، وإيضاح المعرفة، والإشراف على الحقيقة من محمد صلى الله عليه وسلم، وعبارةً عن إجابة الرغبة، وقضاء المطالب، وإظهار التحفِّي، وإنافة المنزلة والقرب من الله؛ ويتأوّل فيه ما يتأوّل في قوله عليه السلام: **"من تقرّب مني شبراً تقرّبت منه ذراعاً ومن أتاني يمشي أتيته هرولةً "**

قربٌ بالإجابة والقبول، وإتيان بالإحسان وتعجيل المأمول. وقد قيل: «ثُمَّ دَنَا» جبريل من ربه { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ } قاله مجاهد. ويدلّ عليه ما روي في الحديث: **" إن أقرب الملائكة من الله جبريل عليه السلام "** وقيل: «أو» بمعنى الواو أي قاب قوسين وأدنى. وقيل: بمعنى بل أي بل أدنى.

وقال سعيد بن المسيّب: القاب صدر القوس العربية حيث يشدّ عليه السير الذي يتنكّبه صاحبه، ولكل قوس قاب واحد. فأخبر أن جبريل قرب من محمد صلى الله عليه وسلم كقرب قاب قوسين. وقال سعيد بن جبير وعطاء وأبو إسحاق الهَمْداني وأبو وائل شقيق بن سلمة: { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ } أي قدر ذراعين، والقوس الذراع يقاس بها كل شيء، وهي لغة بعض الحجازيين. وقيل: هي لغة أزد شَنُوءة أيضاً. وقال الكسائي: قوله: { فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ } أراد قوساً واحداً؛ كقول الشاعر:

ومَهْمَهَيْنِ قَذَفَيْن مَرْتَيْنِ قَطَعْتُهُ بالسَّمْتِ لا بالسَّمْتَيْنِ

أراد مهمهاً واحداً. والقوس تذكر وتؤنث فمن أنث قال في تصغيرها قويسة ومن ذكر قال قويس؛ وفي المثل هو من خيرِ قُوَيْسٍ سَهْماً، والجمع قِسِيّ وقُسِيّ وأقواس وقِياس؛ وأنشد أبو عبيدة:

ووَتَّـرَ الأسـاورُ القِياسَـا

والقَوْس أيضاً بقية التّمْر في الجُلَّة أي الوعاء، والقَوْس برج في السماء. فأما القُوسُ بالضم فصومعة الراهب؛ قال الشاعر وذكر ٱمرأة:

لاسْتَفْتَنَتْنِي وذَا المِسحَينِ في القُوسِ

قوله تعالى: { فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ } تفخيم للوحي الذي أوحى إليه. وتقدّم معنى الوحي وهو إلقاء الشيء بسرعة ومنه الوَحَاء الوَحَاء. والمعنى فأوحى الله تعالى إلى عبده محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى.

وقيل: المعنى { فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ } جبريل عليه السلام «مَا أَوْحَى».
وقيل: المعنى فأوحى جبريل إلى عبد الله محمد صلى الله عليه وسلم ما أوحى إليه ربه.
قاله الربيع والحسن وٱبن زيد وقتادة.
قال قتادة: أوحى الله إلى جبريل وأوحى جبريل إلى محمد.
ثم قيل: هذا الوحي هل هو مبهم؟ لا نَطَّلِع عليه نحن وتُعُبِّدْنَا بالإيمان به على الجملة، أو هو معلوم مفّسر؟ قولان.

- وبالثاني قال سعيد بن جبير، قال: أوحى الله إلى محمد: ألم أجدك يتيماً فآويتك! ألم أجدك ضالاً فهديتك! ألم أجدك عائلاً فأغنيتك! { **أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * ٱلَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ** }[الشرح: 1 - 4].
- وقيل: أوحى الله إليه أن الجنة حرام على الأنبياء حتى تدخلها يا محمد، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك.

11 الي 18
}مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ { * { أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ } * { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ }
{ *عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ } * { عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ } * { إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ }
{ *مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ } * { لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ}

قوله تعالى: { مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ } أي لم يكذب قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج؛ وذلك أن الله تعالى جعل بصره في فؤاده حتى رأى ربه تعالى وجعل الله تلك رؤية.
وقيل: كانت رؤية حقيقة بالبصر.
والأوّل مرويّ عن ٱبن عباس. وفي صحيح مسلم أنه رآه بقلبه. وهو قول أبي ذرّ وجماعة من الصحابة.

والثاني قول أنس وجماعة. وروي عن ٱبن عباس أيضاً أنه قال: أتعجبون أن تكون الخُلّة لإبراهيم، والكلام لموسى، والرؤية لمحمد صلى الله عليه وسلم.
وروي عن ٱبن عباس أيضاً أنه قال: أما نحن بني هاشم فنقول إن محمداً رأى ربه مرتين.

وقد مضى القول في هذا في «الأنعام» عند قوله: { لاَّ تُدْرِكُهُ ٱلأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلأَبْصَارَ }[الأنعام: 103].
وروى محمد بن كعب قال: **" قلنا يا رسول الله صلى الله عليك رأيت ربك؟ قال: «رأيته بفؤادي مرتين» ثم قرأ: { مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ } "**
وقول: ثالث أنه رأى جلاله وعظمته؛ قاله الحسن.
وروى أبو العالية قال: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: **" رأيت نهراً ورأيت وراء النهر حجاباً ورأيت وراء الحجاب نوراً لم أر غير ذلك "**
وفي صحيح مسلم **" عن أبي ذرّ قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك؟ قال: «نورٌ أَنَّى أراه» "** المعنى غلبني من النور وبهرني منه ما منعني من رؤيته. ودلّ على هذا الرواية الأخرى «رأيت نوراً».

وقال ٱبن مسعود: رأى جبريل على صورته مرتين. وقرأ هشام عن ٱبن عامر وأهل الشام «مَا كَذَّبَ» بالتشديد أي ما كذّب قلبُ محمد ما رأى بعينه تلك الليلة بل صدّقه. فـ «ـما» مفعوله بغير حرف مقدّر؛ لأنه يتعدّى مشدّداً بغير حرف. ويجوز أن تكون «ما» بمعنى الذي والعائد محذوف، ويجوز أن يكون مع الفعل مصدراً. الباقون مخففاً؛ أي ما كذب فؤاد محمد فيما رأى؛ فأسقط حرف الصفة. قال حسان رضي الله عنه:

لو كنتِ صادقة الذي حدّثتِنِي لنجوتِ مَنْجَا الحارثِ بن هِشامِ

أي في الذي حدّثتِنِي. ويجوز أن يكون مع الفعل مصدراً. ويجوز أن يكون بمعنى الذي؛ أي ما كذب فؤاد محمد صلى الله عليه وسلم الذي رأى.

قوله تعالى: { أَفَتُمَارُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ } قرأ حمزة والكسائي «أَفَتَمْرُونَهُ» بفتح التاء من غير ألف على معنى أفتجحدونه. وٱختاره أبو عبيد؛ لأنه قال: لم يماروه وإنما جحدوه. يقال: مراه حقه أي جحده ومريته أنا؛ قال الشاعر:

لِئن هجرت أخا صِدقٍ ومَكْرُمَةٍ لقد مَرَيْتَ أخاً ما كان يَمْرِيكَا

أي جحدته. وقال المبرّد: يقال مراه عن حقه وعلى حقه إذا منعه منه ودفعه عنه.

قال: ومثل على بمعنى عن قول بني كعب بن ربيعة: رضي الله عليك؛ أي رضي عنك. وقرأ الأعرج ومجاهد «أَفَتُمْرُونَهُ» بضم التاء من غير ألف من أمريت؛ أي تريبونه وتشككونه. الباقون { أَفَتُمَارُونَهُ } بألف، أي أتجادلونه وتدافعونه في أنه رأى الله؛ والمعنيان متداخلان؛ لأن مجادلتهم جحود. وقيل: إن الجحود كان دائماً منهم وهذا جدال جديد؛ قالوا: صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عِيرنا التي في طريق الشام. على ما تقدّم.

قوله تعالى: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ } { نَزْلَةً } مصدر في موضع الحال كأنه قال: ولقد رآه نازلاً نزلةً أخرى.

قال ٱبن عباس: رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه مرة أخرى بقلبه.

روى مسلم عن أبي العالية عنه قال: { مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ } { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ } قال: رآه بفؤاده مرتين؛ فقوله: {نَزْلَةً أُخْرَىٰ } يعود إلى محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإنه كان له صعود ونزول مراراً بحسب أعداد الصلوات المفروضة، فلكل عَرْجة نَزْلة.

وعلى هذا قوله تعالى: { عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ } أي ومحمد صلى الله عليه وسلم عند سدرة المنتهى وفي بعض تلك النزلات. وقال ٱبن مسعود وأبو هريرة في تفسير قوله تعالى:

{ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ } أنه جبريل. ثبت هذا أيضاً في صحيح مسلم. وقال ٱبن مسعود: قال النبيّ صلى الله عليه وسلم: **" رأيت جبريل بالأفق الأعلى له ستمائة جناح يتناثر من ريشه الدر والياقوت "** ذكره المهدوي.

قوله تعالى: { عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ } «عِنْدَ» من صلة «رَآهُ» على ما بينا. والسِّدْر شجر النَّبِق وهي في السماء السادسة، وجاء في السماء السابعة.

والحديث بهذا في صحيح مسلم؛ الأوّل ما رواه مُرَّة عن عبد الله قال: لما أُسْرِيَ برسول الله صلى الله عليه وسلم ٱنتهي به إلى سِدرة المنتهى، وهي في السماء السادسة، إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها،

قال: { إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ } قال: فراش من ذهب،

قال: فأعطي رسولُ الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً:

- أعطي الصلوات الخمس،
- وأعطي خواتيم سورة البقرة،

- وغُفِر لمن لم يشرك بالله من أمته شيئاً المقحِمات.

الحديث الثاني رواه قتادة عن أنس أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: **" لما رُفعتُ إلى سِدرة المنتهى في السماء السابعة نَبِقها مثل قِلال هَجَر وورقها مثل آذان الفِيَلة يخرج من ساقها نهران ظاهران ونهران باطنان قلت يا جبريل ما هذا قال أما الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات "** لفظ الدَّارَقُطْني. والنَّبِق بكسر الباء: ثمر السِّدْر الواحد نَبِقة. ويقال: نَبْق بفتح النون وسكون الباء؛ ذكرهما يعقوب في الإصلاح وهي لغة المصريين، والأولى أفصح وهي التي ثبتت عن النبيّ صلى الله عليه وسلم.

وروى الترمذيّ عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ـ وقد ذُكِر له سِدْرة المنتهى ـ قال: **"يسير الراكب في ظل الغصن منها مائة سنة أو يستظل بظلها مائة راكب ـ شك يحيى ـ فيها فَرَاش الذهب كأن ثمرها القِلال "** قال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

قلت: وكذا لفظ مسلم من حديث ثابت عن أنس: **" ثم ذُهِب بي إلى سِدْرة المنتهَى وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقِلال فلما غشيها من أمر الله عز وجل ما غشِي تغيرت فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها "**

وٱختلف لم سُمِّيت سِدْرة المنتهى على أقوال تسعة:

- الأوّل: ما تقدّم عن ٱبن مسعود أنه ينتهي إليها كلما يهبط من فوقها ويصعد من تحتها.
- الثاني: أنه ينتهي علم الأنبياء إليها ويعزب علمهم عما وراءها؛ قاله ٱبن عباس.
- الثالث: أن الأعمال تنتهي إليها وتقبض منها؛ قاله الضحاك.
- الرابع: لانتهاء الملائكة والأنبياء إليها ووقوفهم عندها؛ قاله كعب.
- الخامس: سميت سِدْرة المنتهَى لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء؛ قاله الربيع بن أنس.
- السادس: لأنه تنتهي إليها أرواح المؤمنين؛ قاله قتادة.
- السابع: لأنه ينتهي إليها كل من كان على سنة محمد صلى الله عليه وسلم ومنهاجه؛ قاله عليّ رضي الله عنه والربيع بن أنس أيضاً.
- الثامن: هي شجرة على رؤوس حملة العرش إليها ينتهي علم الخلائق؛ قاله كعب أيضاً.

قلت: يريد ـ والله أعلم ـ أن ٱرتفاعها وأعالي أغصانها قد جاوزت رؤوس حملة العرش؛ ودليله ما تقدّم من أن أصلها في السماء السادسة وأعلاها في السماء السابعة، ثم علت فوق ذلك حتى جاوزت رؤوس حملة العرش. والله أعلم.

- التاسع: سُمِّيت بذلك لأن من رفع إليها فقد ٱنتهى في الكرامة.

وعن أبي هريرة: لما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم ٱنتهى به إلى سِدرة المنتهى فقيل له هذه سدرة المنتهى ينتهي إليها كل أحد خَلاَ من أمتك على سنّتك؛ فإذا هي شجرة يخرج من أصلها أنهار من ماء غير آسِن، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مُصَفًّى، وإذا هي شجرة يسير الرّاكب المسرع في ظلّها مائة عام لا يقطعها، والورقة منها تغطي الأمّة كلها؛ ذكره الثعلبي.

قوله تعالى: { **عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ** } تعريف بموضع جنة المأوى وأنها عند سِدرة المنتهى.
وقرأ عليّ وأبو هريرة وأنس وأبو سَبرة الجهني وعبد الله بن الزبير ومجاهد «عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى» يعني جَنّة المبيت.
قال مجاهد: يريد أجنة. والهاء للنبيّ صلى الله عليه وسلم.
وقال الأخفش: أدركه كما تقول جنة الليل أي ستره وأدركه.

وقراءة العامة { **جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰ** }

- قال الحسن: هي التي يصير إليها المتقون.
- وقيل: إنها الجنة التي يصير إليها أرواح الشهداء؛ قاله ٱبن عباس. وهي عن يمين العرش.
- وقيل: هي الجنة التي آوى إليها آدم عليه الصلاة والسلام إلى أن أخرج منها وهي في السماء السابعة.
- وقيل: إن أزواج المؤمنين كلهم في جنة المأوى. وإنما قيل لها: جنة المأوى لأنها تأوي إليها أرواح المؤمنين وهي تحت العرش فيتنعمون بنعيمها ويتنسمون بطيب ريحها.
- وقيل: لأن جبريل وميكائيل عليهما السلام يأويان إليها. والله أعلم.

قوله تعالى: { **إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ** } قال ٱبن عباس والضحاك وٱبن مسعود وأصحابه: فراش من ذهب.
ورواه مرفوعاً ٱبن مسعود وٱبن عباس إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم. وقد تقدّم في صحيح مسلم عن ٱبن مسعود قوله. وقال الحسن: غشيها نور ربّ العالمين فاستنارت.

قال القشيري: **" وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم ما غشيها؟ قال: «فراش من ذهب» "**
وفي خبر آخر **" غشيها نور من الله حتى ما يستطيع أحد أن ينظر إليها "**
وقال الربيع بن أنس: غشيها نور الربّ والملائكة تقع عليها كما يقع الغربان على الشجرة.
وعن النبيّ صلى الله عليه وسلم قال: **" رأيت السّدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة مَلَكاً قائماً يسبّح الله تعالى وذلك قوله: { إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ }** " ذكره المهدويّ والثعلبيّ.
وقال أنس بن مالك: { إِذْ يَغْشَىٰ ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ } قال جراد من ذهب وقد رواه مرفوعاً.
وقال مجاهد: إنه رَفْرَف أخضرُ. وعنه عليه السلام: **" يغشاها رَفْرَف من طير خضر "**
وعن ٱبن عباس: يغشاها ربُّ العزة؛ أي أمره كما في صحيح مسلم مرفوعاً: **" فلما غشيها من أمر الله ما غشى "**
وقيل: هو تعظيم الأمر؛ كأنه قال: إذ يغشى السِّدْرة ما أعلم الله به من دلائل ملكوته.
وهكذا قوله تعالى: { فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَآ أَوْحَىٰ } { وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ * فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ } ومثله:
{ **ٱلْحَاقَّةُ * مَا ٱلْحَاقَّةُ** } [الحاقة: 1 - 2].

وقال الماوردي في معاني القرآن له: فإن قيل لم ٱختيرت السِّدْرة لهذا الأمر دون غيرها من الشجر؟
قيل: لأن السِّدْرة تختص بثلاثة أوصاف:
- ظلّ مديد،
- وطعم لذيذ،
- ورائحة ذكية؛

فشابهت الإيمان الذي يجمع قولاً وعملاً ونيّةً؛
- فظلُّها من الإيمان بمنزلة العمل لتجاوزه،
- وطعمها بمنزلة النية لكمونه،
- ورائحتها بمنزلة القول لظهوره.

وروى أبو داود في سننه قال: حدّثنا نصر بن علي قال حدّثنا أبو أسامة عن ٱبن جريج عن عثمان بن أبي سليمان عن سعيد بن محمد ابن جُبَير بن مُطْعِم عن عبد الله بن حُبشي، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **" من قطع سِدْرةً صَوَّب ٱللَّهُ رأسَه في النار "**

وسئل أبو داود عن معنى هذا الحديث فقال: هذا الحديث مختصر يعني من قطع سِدْرة في فلاة يستظل بها ٱبن السبيل والبهائم عبثاً وظلماً بغير حقّ يكون له فيها صَوَّب ٱللَّهُ رأسَه في النار.

**

قوله تعالى: { مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ } قال ٱبن عباس: أي ما عدل يميناً ولا شمالاً، ولا تجاوز الحدّ الذي رأى.
وقيل: ما جاوز ما أُمر به.
وقيل: لم يمدّ بصره إلى غير ما رأى من الآيات.
وهذا وصف أدب للنبيّ صلى الله عليه وسلم في ذلك المقام؛ إذ لم يلتفت يميناً ولا شمالاً.

قوله تعالى: { لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ }
قال ٱبن عباس: رأى رَفْرَفاً سدّ الأفق.
وذكر البيهقي عن عبد الله قال: «رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى»
قال ٱبن عباس: رأى رَفْرَفاً أخضَر سدّ أفق السماء. وعنه قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريل عليه السلام في حُلّة رفرف أخضر، قد ملأ ما بين السماء والأرض.
قال البيهقي: قوله في الحديث **" رأى رَفْرَفاً "** يريد جبريل عليه السلام في صورته في رفرف، والرفرف البساط.
ويقال: فِراش.
ويقال: بل هو ثوب كان لباساً له؛ فقد روي أنه رآه في حُلّة رفرف.

قلت: خرّجه الترمذي عن عبد الله قال: { مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ }
قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم جبريلَ عليه السلام في حُلّة من رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض.
قال: هذا حديث حسن صحيح.

قلت: وقد روي عن ٱبن عباس في قوله تعالى: { دَنَا فَتَدَلَّىٰ } أنه على التقديم والتأخير؛ أي تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رُفع فدنا من ربه.
قال: **" فارقني جبريل وٱنقطعت عني الأصوات وسمعت كلام ربّي "**

فعلى هذا الرَّفْرَفُ ما يُقْعَد ويُجلَس عليه كالبساط وغيره. وهو بالمعنى الأول جبريل.
قال عبد الرحمن بن زيد ومقاتل بن حيان: رأى جبريَل عليه السلام في صورته التي يكون فيها في السموات؛ وكذا في صحيح مسلم عن عبد الله قال: { لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰ } قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح.
ولا يبعد مع هذا أن يكون في حُلّة رفرف وعلى رفرف. والله أعلم.
وقال الضحاك: رأى سِدْرة المنتهى.
وعن ٱبن مسعود: رأى ما غشي السِّدرة من فراش الذهب؛ حكاه الماوردي.
وقيل: رأى المعراج.
وقيل: هو ما رأى تلك الليلة في مسراه في عوده وبدئه؛ وهو أحسن؛ دليله:
{ **لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَآ** } [الإسراء: 1]
و «مِن» يجوز أن تكون للتبعيض، وتكون «الْكُبْرَى» مفعولة لـ «رأى» وهي في الأصل صفة الآيات ووحدت لرؤوس الآيات. وأيضاً يجوز نعت الجماعة بنعت الأنثى؛ كقوله تعالى: { **وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَىٰ** } [طه: 18].
وقيل: «الْكُبْرَى» نعت لمحذوف؛ أي رأى من آيات ربه الكبرى.
ويجوز أن تكون «مِن» زائدة؛ أي رأى آيات ربه الكبرى.
وقيل: فيه تقديم وتأخير؛ أي رأى الكبرى من آيات ربه.